الاسم واللقب: عبد العزيز نارة Full name : Nara Abdel Aziz

الرتبة العلمية: طالب ثالثة دكتوراه ل.م.د Scientific level: third year LMD doctoral student

التخصص: تاريخ معاصر Specialization: Contemporary History

جامعة أحمد دراية – الجامعة الإفريقية- أدرار University of Adrar Ahmed Darayeh - African University – Adrar

مخبر المخطوطات الجزائرية بإفريقيا Algerian Manuscripts in Africa

الهاتف: 0781723977/0697039882 phone: 0697039882/078172397

البريد الإلكتروني: aziz3171@gmail.com Email: aziz3171@gmail.com

Nom et prénom: abdelaziz nara

Niveau scientifique: étudiants troisième doctorat LMD

Spécialité: histoire contemporaine

Université Ahmed draia- universitsé africaine -adrar

Détective manuscrit algérienne En Afrique

Téléphone: 0697039882/0781723977

E-mail :aziz3171@gmail.com

**عنوان المحور:** القوافل والتجارة الصحراوية بالمنطقة المغاربية في العهد العثماني

**عنوان المداخلة:** تجارة القوافل بين الجزائر وطرابلس الغرب والسودان الغربي في العهد العثماني

**ملخص:**

لقد لعبت القوافل التجارية دورا مهما وفعالا وكانت من أهم المرتكزات الأساسية في التواصل الحضاري بين الجزائر وطرابلس الغرب والسودان الغربي في العد العثماني، بحيث إن علاقة الجزائر بطرابلس الغرب هي علاقة تجارية خاصة على مستوى المدن الصحراوية أو المسالك التجارية البرية هذا بالرغم من تواضع حجم تلك المبادلات، بفعل طول المسافة، وكذا العقبات الطبيعية وتواضع إمكانات طرابلس الغرب.

كما وقد أسست الطرق والقوافل التجارية قاعدة تواصل حضاري على مر السنين، بين الجزائر
وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء، خاصة في العصور الوسطى والحديثة، وبواسطتها انتقلت الحضارة
العربية والإسلامية إلى السودان الغربي والتي تجلت معـــــــــــالمها في اعتناق أهل السودان الغربي
الدين الإسلامي، وسعيهم لتعلم اللغة العربية وفنونها، حيث لعب الشمال الإفريقي في هذا الجانب دورا
بارزا وكبير ، خاصة الجزائر ، فبواسطتها استطاع علماؤها من نشر معارفهم من مختلف العلوم.

**Résumé:**

Les caravanes commerciales ont joué un rôle important et efficace et ont été l’un des piliers majeurs de la communication civilisée entre l’Algérie, Tripoli de ouset et le Soudan occidental à l’époque ottomane.La relation entre l’Algérie et Tripoli de ouest est une relation commerciale specialement au niveau des villes désertiques ou des routes commerciales malgré le modeste échange en raison de la distance, des obstacles naturels et du potentiel modeste de Tripoli ouest.

également les caravanes et les routes commercials ont établi une base de communication civil le long des ans entre l'Algérie et les pays d’Afrique subsaharienne, particulièrement au Moyen Âge et au monde moderne, à travers lesquels la civilisation arabes et islamiques ont atteint Soudan occidental, ce qui s’est apparaître par la conversion de sudan a la religion islamique et cherchent d'apprendre la langue et des arts arabes, où le Nord-Africain a joué un rôle grand et efficace , en particulier l'Algérie, à travers laquelle ses scientifiques ont pu diffuser leurs connaissances dans diverses sciences.

**مقدمة:**

يرتبط التواصل الحضاري بين الأمم بالعديد من المحددات والمقومات أهمها، العـقيدة، واللغة والجوار الجغرافي، والتجارة، ومقوم معرفي ...الخ، هذه الأخيرة، أسست صرحا ترابطيا، انعكس إيجابا في التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء، في العديد من المظاهر، خاصة التجارية والثقافية، ولقد كانت الجزائر في العصور الوسطى والحديثة إحدى أهم حلقات التواصل الحضاري بن الشمال وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء، إذ شكل مواقعها الجغرافي وانفتاحها على الصحراء الكبرى، وتعدد المسالك والطرق نحو طرابلس الغرب والسودان الغربي، فنشطت تجارة القوافل، وتنقل العلماء وطلاب العلم بمرونة نحو المراكز الحضارية.

شكلت الطرق والمسالك أهم المرتكزات الأساسية في التواصل الحضاري بين الجزائر وطرابلس الغرب و السودان الغربي على مر العصور.

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية الآتية:

كيف كانت تجارة القوافل بين الجزائر وطرابلس الغرب والسودان الغربي في العهد العثماني ؟

**1/: أهمية التجارة الخارجية**

لعبت الطرق التجارية العابرة للصحراء الكبرى أدواراً كبيرةً ومهمةً في تاريخ الدول الإفريقية (بلولة، 2005م، ص67) ، وتعد التجارة الخارجية من بين مصادر الثروة بالنسبة لهاته الدول، ولأجل ذلك عملت الدول الأوربية الكبرى على التوسع في النشاط التجاري واحتكار وسائل المواصلات (الزبيري، 1972م، ص77) ، هذا بالنسبة لأوربا أما بالنسبة لبلاد المغرب بما في ذلك الجزائر وطرابلس، فإننا نسجل الأهمية القصوى للتجارة الخارجية بالنسبة للبلدين، خاصة طرابلس الغرب وذلك لعدة اعتبارات أهمها الموقع الجغرافي الذي أعطى أهمية قصوى للبلدين في المجال التجاري خاصة تجارة القوافل، فالجزائر بحكم موقعها الجغرافي تعد منطقة عبور وملتقى لتجارة السودان وأوربا ومكانا لتبادل بضائع بلاد المغرب والولايات العثمانية (سعيدوني، البوعبدلي، 1984م، ص73).

ولعل الثروة التي اشتهرت بها ورقلة عبر العصور كان مصدرها خصوصا الحركة التجارية وتجارة العبور التي أهلها موقعها الممتاز بين الشرق والغرب والشمال والجنوب عند ملتقى عدد من الطرق التي تنطلق منها أو تمر بها، فقد ظلت ورقلة طيلة الفترة العثمانية ملتقى للتجار ومحطة للقوافل التي تعبر الصحراء.

وقد تحدث الحسن الوزان عن ذلك بقوله: "...وأهلها أغنياء جدا...منهم عدد كبير من التجار الأجانب والغرباء عن البلد لا سيما من قسنطينة وتونس يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان". ونفس الأمر بالنسبة لمدينة بسكرة التي نشطت تجاريا بفضل موقعها الذي يتوسط بين التل والصحراء، وفي هذا السياق يقول العياشي: "هذه المدينة من أعظم المدن لجمعها لمنافع كثيرة من توافر أسباب العمران بها، قد جمعت بين التل والصحراء".

هذا فيما يخص الجزائر، أما بالنسبة لأيالة طرابلس الغرب، فيسجل فيها نفس الوضع، بل إن التجارة هناك خاصة تجارة العبور، كانت تمثل المصدر الأساسي لإقتصاد البلاد وهذا أمام تواضع وشح الموارد الإقتصادية بويلاة طرابلس وعدم وجود موارد ذات قيمة ما عدا التجارة، ويفسر ازدهار مدينة طرابلس على مدى القرون كونها نقطة إعادة تصدير في طرق التجارة التي تصل المشرق بالمغرب فإليها ينتهي طريق القوافل الذي يخترق الصحراء ويمتد عبر غدامس وغات ومرزق، وكان الورتلاني قد عقد مقارنة بين الأيالات الثلاثة بشمال إفريقيا من حيث الموارد والإمكانيات الاقتصادية فلاحظ أن الجزائر وتونس أغنى وأخطب من طرابلس وأن هذه الأخيرة تعيش على ما يرد إليها من الخارج، وفي هذا الشأن يقول:"...أما طرابلس وعمالتها فقد ضاقت على أهلها المعيشة وما هي إلا بالكد والجد والسعي الكثير".

وكان السراج قد لاحظ نفس الوضع في واحة أوجلة حيث يقول:"...وخيرها غزير تجلب لها الأرزاق من الأقطار والآفاق، بل إن فقر البيئة في أوجلة قد دفع بالعديد من أهلها للإشتغال بالتجارة أو العمل كأدلاء على طرق القوافل، وقد أشار العديد من المؤرخين إلى فقر إيالة طرابلس ومحدودية مواردها، ومن ذلك ما قاله كوستانزيو عن طرابلس، بأنها بلد فقير يتوالى فيه الجفاف وينعدم فيه الرخاء العام، وأكد ذلك عزيز سامح، بقوله: "إن طرابلس الغرب بالنسبة إلى تونس والجزائر بلاد فقيرة (بوسليم، علون، 2017م، ص ص143-144).

**2/: طرق ومسالك تجارة القوافل الصحراوية بين الجزائر وطرابلس الغرب**

كانت القوافل التجارية التي تربط بين أسواق البلدين تمر عبر مسالك وطرق رئيسية، تتداخل مع الطرق التي تؤدي إلى بلاد السودان وتونس، وكانت قسنطينة وورقلة والوادي وتقرت وتوات، تمثل أهم المراكز التي تنطلق منها القوافل المتجهة نحو الأسواق الطرابلسية، وأهم تلط الطرق:

**أ/: طريق وادي سوف-غدامس:**

ويبدأ في الحقيقة من جنوب بسكرة ويتجه إلى سوف ومنها إلى غدامس مرورا ببئر جديد وبئر سوف، وهو طريق صعب لا يقطع في أقل من 15 يوما يتم خلالها اختراق العرق الشرقي الكبير حيث الكثبان الرملية مع السير نحو أسبوع دون ماء إلا ما تحمله القافلة، وتعد سوف الواحة الجزائرية الأقرب لغدامس وهي على مسافة 400 كلم من سوف.

وكانت معظم تجارة السوافة تتم مع غدامس، التي كانت من أكبرالأسواق في ذلك الحين وتمثل مركزا من مراكز تجارة العبور، وكان التجار الغدامسية في تنافس مستمر مع تجار الوادي ورغم ذلك تواصل التبادل التجاري بين الطرفين وفي هذا يقول سعد الله: "...ومعظم تجارتهم (أي أهل سوف) مع غدامس".

وكان السوافة يحملون لغدامس التمور والملح والحياك والقندورة المصنوعة من الصوف وزيت الزيتون الذي يجلب من تونس والشمع القادم من بسكرة إضافة إلى الأغنام والجمال والتبغ، وفي المقابل يجلبون منها العبيد والتبغ وريش النعام والبخور والنترون وحجر الشب مما تستورده غدامس من بلاد السودان، وكانت البضائع الواردة من غدامس نحو الوادي يتم توجيه جزء منها نحو بسكرة وتوقرت، وقد ذكر شالر أن البسكريين كانوا يعملون وسطاء تجاريين بين مدينة الجزائر وغدامس.

ب**/: طريق ورقلة-غدامس:**

وتبعد ورقلة عن غدامس بحوالي 13 يوم، وهو طريق صعب بفعل الكثبان الرملية ومع ذلك فإن تجار ورقلة كانوا يسافرون باستمرار إلى سوق غدامس حيث تلتقي قوافل طرابلس والجزائر وتونس والسودان، مما ساعد على تطوير العلاقات التجارية بين ورقلة وغدامس وهو التنافس المتواصل بين الغدامسية والسوافة، وكانت القوافل تخرج من ورقلة محملة بالأقمشة الحريرية والقطنية وبالتمور والحبوب والزيت ثم تعود وهي تحمل التبر والعبيد والعاج والبخور وغيرها، ويشير سعيدوني إلى أن تجار ورقلة وتقرت كانوا يشكلون قوافل محروسة تربط كل من تقرت قاعدة وادي زيغ ونقوسة وورقلة بالمراكز التجارية الأخرى منها غدامس، التي كانت ترتبط بالمنيعة وتوات عن طريق ورقلة وهناك فرع لهذا الطريق يتجه إلى عين صالح.

**ج/: طريق وادي سوف-غات:**

طريق صعب حيث كانت التجارة بين سوف وغات مخاطرة حقيقية وأصعب من غدامس حتى أن أهل سوف يرددون القول: "مشا الغات سعى ولا مات"، بمعنى أن التاجر المسافر إلى غات إما أن يجلب معه الثروة والذهب أو يتعرض للهلاك، وكان بعض تجار وادي سوف يتحدون جميع الأخطار، ويذهبون مباشرة إلى سوق غات هروبا من الضرائب التي كانت تفرض على التجار عند الدخول لمدينة غدامس أو الخروج منها وتجنبا للاصطدام مع الغدامسية، وكان تجار الواد يقصدون غات لشراء العبيد.

**د/: طريق تقرت- غدامس:**

يتجه إلى الشمال ليمر بمحطة الفيض قرب بسكرة، حيث ينضم تجار هذه المدينة للقافلة، وبعدها يأخذ اتجاه الجنوب الشرقي ليصل إلى كوينين (بين قمار والواد)، ومنها يأخذ إتجاهين أحدهما، شمالا نحو نفطة، والثاني نحو الجنوب إلى غدامس مرورا ببئر الجديد قرب الحدود التونسية، حيث تلتقي قوافل نفطة وتقرت المتجهة إلى غدامس، وإذا كان الطريق إلى نفطة يقطع في أقل من خمسة أيام لا تتعرض القافلة خلاله لأية أخطار، نظرا لانتشار الآبار والعمران، كما أن الكثبان الرملية لا تساعد على القيام بالرحلة من تقرت إلى غدامس، والواقع أنه كان لسكان تقرت اتصلات معتادة مع مدن بلاد الجريد بتونس ومدينة غدامس، وكانت قافلة قسنطينة تتصل بهذا الخط في بهذا الخط في منطقة الفيض، فيذهب بعضها إلى غدامس والبعض الآخر إلى ورقلة.

**هـ/: طريق عين صالح-غدامس:**

تبعد عين صالح عن غدامس 30 يوما، حسب ما ورد في رحلة رولفس الذي قال بأنه بعد 30 يوما من السير انطلاقا من عين صالح تم الوصول إلى غدامس، وذكر تشايجي أن المسافة بين المدينتين 20 يوما وجعلها ضياف 22 يوما، وكان الرحالة الألماني روفلس قد حل بعين صالح في سنأ 1864م بنية السفر إلى تمبكتو، لكن الظروف أجبرته على تغيير وجهته، حيث قرر السفر من عين صالح إلى غدامس ومنها إلى طرابلس، وبذلك تمكن من اختراق الصحراء من الغرب إلى طرابلس الغرب عبر الجزائر، وكانت عين صالح مثلها مثل غدامس، من المراكز الأساسية للتبادل التجاري في الصحراء، ومنطقة عبور للتجارة والتجار، وظلت ترتبط بغدامس رغم بعد المسافة، وكانت عين صالح تضم العديد من العناصر الأجنبية التي جاءت لأغراض تجارية، وذكر رولفس أن القافلة التي خرج معها إلى غدامس كانت تضم جمالا لأحد كبار التجار الغدامسية المدعو "ولد هيبة"، حيث كانت تحمل ريش النعام وقد أوكل مهمة رعاية بضاعته لأحد عبيده، وكان ابن مليح قد نزل بعين صالح في طريق عودته من البقاع المقدسة حيث وصف المنطقة بقوله: "...فبلغنا بعد ثلاثة أيام مدشرا صغيرا يقال له إن صالح...أحدقت به عيون ونخيل كثيرة وأهلها سادات صلحاء"، وتشير العديد من الوثائق حسب محمد مروان إلى أن تجار غدامس قد استخدموا بكثرة الطريق الرابط بين عين صالح وغدامس ومنها إلى بقية الواحات الجزائرية.

**و/: طريق عين صالح-غات:**

كان هناك الطريق الجبلي وهو صعب جدا ولا يقطع في أقل من عشرين يوما والطريق السهلي وهو أطول ويقطع في حوالي 40 يوما، فمن غات كان يمكن الذهاب إلى مرزق مركز فزان والي عين صالح مركز الصحراء الغربية (بوسليم، علون، 2017م، ص ص143-147).

**ز/: الطرق التجارية التي كانت تربط توات بإيالة طرابلس:**

كانت توات تمثل ملتقى الطرق التجارية الصحراوية، وذلك لأنها تتوسط الصحراء، لذا فقد كانت أهم مركز تجاري تتجمع فيه القوافل القادمة من طرابلس وتونس والجزائر والمغرب في طريقها إلى بلاد السودان، وكانت قوافل التجارة القادمة من غدامس وغات وجنوب تونس تمثل إحدى المحاور الخمس في التجارة الخارجية لإقليم توات، كما كانت الطرق التجارية التي تتفرع من توات تأخذ اتجاهين شمالي وجنوبي، وكان الاتجاه الأول يربط توات بأسواق شمال بلاد المغرب، ويتشكل من ثلاث طرق رئيسية تتفرع بدورها إلى ثلاث جهات ثانوية، منها طريق شمالي شرقي وهو الطريق الذي تسلكه القوافل المتجهة إلى المنيعة وغرداية والشرق الجزائري، وكذلك إلى غات وغدامس وطرابلس وجنوب تونس، ومن جهة أخرى ذكر إبن بطوطة في رحلته الطريق الذي يتجه من غات إلى توات، بقوله:"...ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوما في برية لا عمارة بها...ووصلنا إلى الموضع الذي يفترق به طريق غات الآخذ إلى ديار مصر وطريق توات، ويقول محمد عمر مروان أن توات تبعد عن غدامس 25 يوما، وكانت توات على علاقة تجارية وطيدة بغات حيث كان التجار يجلسون عند باب تفغغات وهو أكبر أبواب المدينة حيث تعرض البضائع القادمة من طرابلس وفزان والسودان وتوات، وذكر ريتشارد صون الذي حضر سوق غات السنوي في 1845م، قد توافدت على سوق المدينة قوافل تجارية من بلاد السودان والتبو ومن توات وسوف وغدامس وطرابلس وتونس(بوسليم، علون، 2017م، ص ص147-148).

**3/: أهم السلع المتبادلة بين البلدين**

لقد ساهمت حركة القوافل الصحراوية في إقامة علاقات تجارية بين الجزائر وبقية البلاد المغاربية، بما في ذلك طرابلس الغرب، وبالنسبة للسلع المتبادلة بين الجزائر وطرابلس عبر تجارة القوافل، والتي كانت تتم بين المدن الصحراوية بالدرجة الأولى، فبعضها كان إنتاج محلي والبعض الاخر كان من المواد المستوردة في إطار تجارة العبور سواء من أوربا أو بلاد السودان،وحسب ما قاله بروديل كانت هناك خمس سلع رائجة في الصحراء وهي غبار الذهب أو التبر والعبيد والملح والنحاس والقماش وهذه السلع في الحقيقة من إنتاج السودان.

كما كانت توجه لطرابلس الغرب المنتوجات الغذائية، ومنها الحبوب خاصة القمح والشعير ولو أن معظم الكميات المصدرة من القمح، يتم توجيهها بحرا خاصة في سنوات الجفاف التي تعرفها طرابلس، إضافة إلى الشمع والزيت والصوف والأغنام والجمال والتبغ والتمور والأقمشة والمواد العطرية، وفي المقابل تستقبل الجزائر قليلا من التبر وريش النعام والعاج والأقمشة القطنية التي كانت تصنع في مدينة كانو، والزباد، الذي يستخرج من القطط البرية التي تعيش في بلاد السودان إضافة إلى العبيد(بوسليم، علون، 2017م، ص148).

**4/: أهم المراكز التجارية بين الجزائر والسودان الغربي**

تشير الدراسات التاريخية على أن المراكز التجــارية، تشكل القلب النابض لــهذه العواصم
الاقتصادية لمماليك الدول بالسودان الغربي، إذ ارتبطت بمختلف الطرق القوافل التجارية القادمة من
الشمال الإفريقي خاصة الجزائر، إذ كانت القوة الاقتصادية عاملا مهما في بقاء أو أفول المماليك، كما
أنها تعبر عن رقي و تطور الشعوب، لذا كان لهذه الأسواق دورا كبيرا في الازدهار والرقي
الاقتصادي والثقافي، إذ نشطت الصناعات الحرفية، والنسيجية، المعيشية، وتجارة الرقيق ، فما هي
أهم الأسواق التي كانت تستقطب تجار الجزائر للممارسة نشاطهم التجاري وما هي أهم السلع المتداولة
بين السودان الغربي والجزائر في العصور الحديثة.

لقد رصدت المصادر والتراجم على الكــثير من منابع التواصل التجاري والثقــافي، والذي
كـان لتجارة القوافل دورا بارزا فيه، إذ ظهرت العديد من العواصم والمراكز والأسواق التجارية
عبر التاريخ ومن أهما :

أسواق السودان الغربي نجد تمبكتو، وأوران، وأونان، وأكابلي، وجني..الخ، أما أسواق
السودان الأوسط ، فتعتبر سوكوتو، وكاسنا، وتاقليلي، واقاديس ، وكوكة، وبورنو، وماو ، اقاديم
إذا كانت بهذه الأسواق حركة تجارية نشطة شملت العديد من المبادلات التجارية ومختلف السلع
أما أسواق السودان الشرقي فلا تقل أهمية على نظيرتها في السودان الغربي أو الأوسط ، إذ عرفت حركة تجارية نشطة خاصة مع بداية العصور الحديثة، ومن أهم أسواقها المشهورة
نجد كردوفان، والخرطوم، ودنقلة ...الخ.

أما بالنسبة للأهم الأسواق والمراكز التجارية بالجزائر فكانت تختلف باختلاف موقعها الجغرافي
فهناك أسواق الجنوب الشرقي والجنوب الغربي للجزائر، وأسواق الشرق والوسط وشـمال الجزائر
إذ تشير الدارسات إلى أن أهم الأسواق التي كان لها دورا فاعلات في الصلات التجارية مع بلدان
إفريقيا جنوب الصحراء، توات التي تعتبر من المراكز التجارية الهامة فموقعها أهلــها أن تكون حــلقة
وصل بين الشمـال الإفريقي والسودان الغربي، وتـعتبر تنمطيط من أهم المــراكـز الاقتصادية بتوات
إضافة إلى أسواق تندوف، الهقا ، ورقلة، الساورة، تقرت، الزاب، وداي سوف، تماسين، غرداية
قسنطينة...الخ، مع تأكيد المصادر والمراجع على وجود الأسواق الجواريـة والجهوية التي كان لها
دور كبير في تنشيط المبادلات التجارية سواء الداخلية أو الخارجية.

أما في ما يخص السلع والبضائع المتداولة بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء، إذ
تعتبر أسواق قصور الجنوب الغربي التي تقع على الطريق التجاري الرابط بين إفريقيا الـغربية من
ناحية وتلمسان و بلاد الأندلس من جهة أخري، ذات تبادل التجاري مكثف بين التجار، ومن السـلع التي
يتم تصديرها إلى بلاد السودان، الأسلحة بأنواعها، المصنوعات الزجاجية، العطور، القرنــفل
المنتوجات الزراعية، بينما يشترون الذهب، والعاج، العبيد، والتي يتم تصديرها للأوربيين، أو
الاستهلاك المحلي.

أما السلع الرائجة في أسواق الجنوب الشرقي للجزائر، والتمور، والألبسة بأنـواعها، والصوف
والقمح، والبقول، والبرانس، والمرجان، والشـواشي، ...الخ، إضافة إلى بعـض المنتوجات الأوربية
كمواد الزينة، حيث يتم تصريف هذه البضائع بأسواق بلاد السودان ويتم جلب أنياب الفيلة، القماش
الأزرق، البخور السوداني، جلود الحيوانات، الصمغ السوداني.

غير أنه مع مطلع القرن السادس عشر اشتد الطلب على شراء العبيد، من طرف تجار الشمال
الإفريقي خاصة الجزائر، لأنها لا تقل أهمية على تجارة الذهب والعاج.

ومن خلال تتبعنا للطرق القوافل وحركة القوافل التجارية نستنج أن التجارة العابرة للصـحراء
يسيطر عليها أهل القصور سواء الجنوب الغربي أو الجنوب الشرقي للجزائر، نظرا للموقع الجـغرافي
الذي أهل العديد من مدنها لان تكون حلقة وصل تجاري بامتياز، واستطاعت هذه المدن لعصور أن
تسيطر على الحركة التجارية الصحراوية نحو بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، أما في ما يخـص
المنتوجات المستوردة من بلاد السودان تكاد تكون ثابت ويغلب عليها الذهب، العاج، ريش النعام
أنياب الفيلة،أما السلع التي يتم تصديرها نحو السودان الغربي،فالغالب عليها الألبسة بمختلف ألوانها
وأنواعها وأشكالها، والأسلحة بأنواعها، والأواني المنزلية الفخارية والحديدية، إضافة إلى المنتوجات
الزراعية، التمور، القمح ...الخ، وكانت المقايضة هي الغالب في التعامل التجاري، إضافة إلى بعض
العملات المتعارف عليها في ذالك الوقت، كالكوري، البينتو، الدينار الشائع في بلدان المغرب
العربي، المثقال الذهبي ...الخ.

وشكلت تجارة القوافل بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء
أهم قـــناة رئيـسة أسست للتفاعل اقتصادي وثقافي وحضاري بينهما، وأعطت هذه الحركية إلى شعوب هذه الأمــم الاضطلاع عل المنتوج والتنوع الاقتصادي بين هذه الأقاليم بتنوعها وتفرعها، وأبرزت المعيار الحضاري والتقاليدي الذي امتزج مع مر السنيين بين هذه الأمم (عواج**،** ص ص5-8).

**5/: العلاقات الثقافية بين الجزائر والسودان الغربي**

لقد لعبت الطرق والقوافل التجارية دور كبيرا في التواصل الثقافي بين الجزائر وبلدان السـودان
الغربي، حيث ارتبط هذا التواصل بأسس ساهمت وأعطت دفعا قويا، في ارتبـاط ذهنـية وفكر أمــم
وشعوب هذه البلدان في ما بينها، ويعتبر انتشار السلام ، واللغة العربية، ومختلف الطرق الصوفية
حجر أساس في هذا التواصل، إضافة لدور القوافل التجارية التي كانت صمام أمــان للوصـول العلماء
و طلاب العلم و تجار الفقهاء، وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية نحو مختلف الــمراكز العلمية
والحضارية لبلدان إفريقيا جنوب الصحراء، وتشير الدراسات، على أن هذه الــحركة لم تتأثر
بالظروف السياسة إلا في فترات نادرة عبر التاريخ.

لقد كان للتوطد العلاقات الاقتصادية أن توطده معها العلاقات الثقافية ،حيث استمر التواصل بهجرة العلماء و طلاب العلم بحثا عن العلم ومصادره، أو للتدريس، أو للإمامة، أو لطلب الإجازة، أو بحثا عن الأمان، كما ساهمت الرحلات العلمية خاصة علماء توات تجاه السودان الغربي ، في إرساء دعـائم التواصل الثقافي والحضاري بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء، هذا التواصل الذي تجلي في العديد من المعالم والمظاهر أهمها:

**- ركب الحجيج:**

يشكل ركب الحجيج أهم محطة ليلتقي فيها العلماء، وطلاب العلم، من مختلف أقطار السودان الغربي والجزائر، إذ تعتبر توات محطة عبور واستراحة، إذ رصدت العديد من المصادر هـجرة العلـماء للحج والرحلات العلمية، اذ يتم في هذه المناسبة التقاء العلماء فيها، ويتم تبادل المسائل الفقيه،ويـتم فيها تبادل الكتب،إعــــارة أو بيعا، 30 وهداية، كما كانت تمنح العديد من الإجازات لبعــض طلاب والاضطلاع على المنـتوج الثقافي العالم لمختلف أمم وشعوب الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء.

**- الزيارات العلمية :**

لقد لعبت الزيارات العلمية دورا كبيرا في إرساء داعم التواصل الثقافي مما ســاهم في بـروز
علماء أجلاء من بلاد السودان الغربي، الذين تتلمذوا على علماء الجزائر خاصة علماء تـوات، الذيـن يرجع لهم الفضل في توطيد هذه العلاقة مما أعطى مدا وصرحا بين هذه الشعوب، واستطاعـت هـذه
الزيارات من أن تمزج العناصر الثقافية، فنشطت الحلقات العلميـة، ودروس الوعـظ والإرشــاد
وشاعت ضرورة تعلم اللغة العربية، لاعتناق أهل السودان الغربي الإسلام وتشبثهم به وضـرورة
التعرف على مقاصده.

**- الإجازات العلمية**

تعتبر الإجازة العلمية بمثابة الشهادة في يومنا هذا، ولأهميتها اهتم أهل العلم بالحصـول عليـها مـن
علماء مشهود لهم بالعلم والمعارف، إذ أجاز الشيخ عبد الرحمان بن عمر التواتي التنيلاني، الشيــخ عبد
الله الفلاني الذي قدم من بلاد التكرور لطلب العلم، كما أجاز الشيخ البكري عبد الكريم، الشيــخ
محمد الإدوعلى 1674م حـيث درس بتوات، وذاع صـيته، وأسس زاويـة ومـدرسة بفنوغيل
وتشير الرحلات العلمية ومختلف المصادر على أن طلب الإجازات العلمية قد شاع الحصول في تلك
الفترة لأهميتها وتمييز صاحبها عن أقرانه من طلاب العلم، وكان لهذه الشهادة الفضل في التواصل
الثقافي بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء(عواج**،** ص ص8-10).

**6/: أثر الطرق والقوافل التجارية في الميدان الاقتصادي والثقافي والعمراني**

لقد كان للطرق والقوافل التجارية العديد من الانعكاسات في العلاقات الجزائرية مع بلدان إفريقيا
جنوب الصحراء، حيث أفرزت هذه الحركة النشطة سواء على المستوى التجاري أو الثقافي، إذ خلفت
العديد من الآثار، أهمها:

**أولا:الآثار الاقتصادية:**

أوجدت تجارة القوافل عبر مختلف المسالك والطرق التجارية، التي تربط الـجزائر بالسودان
الغربي، شبكة متكاملة ومتجانسة المعالم والمهام، حيث نشط الحراك الاقـــتصادي مما سـاهم في تطور
ونمو العديد من المماليك بالـسودان الغربي، وغطي التواصل التجاري بين الجزائر وبلـدان إفريـــقيا
جنوب الصحراء، بصور ة كاملة مختلف الحاجيات المعيشية والصناعية وحتى الفكرية، كما خلف هذا
التواصل العديد من الآثار في الجانب الاقتصادي و من أهمهما:

* **الشــــــــــغل :**

عرفت العـصور الحديثة حركة تجارية نشطة بين الجزائر وبلدان إفريقـيا جنوب الصحراء
ونتج عنها حركة في مجال التشغيل في مختلف التخصصات والحـرف، إذ نشطت مهنة
الحراسة وزاد الطلب عليها، إضافة إلى مهنة الشواف، والترجمان، والإدلاء، والطبيب
السقياة...الخ، مؤجري الجمال، كما استـفادة العديد من القبائل لفرضها الضـرائب على القوافل
التجارية للمرور، أو جوازات الأمان، أو حماية القوافل من قطاع الطـرق، وتـستفيد في دخلها
بالمبدلات التجارية مع مختلف القوافل التجارية، كما تنوب القبائل عن مختلف التجار في نقل
البضائع إلى أعماق الصحراء في بعض الفترات، مقابل تعويض مادي أو جزء من أرباح القافلة.
و من خلال تتبعنا للآثار الاقتصادية ندرك القيمة الاقتصادية والمالية لتجارة القوافل وأثرهـــا
المادي على مختلف سكان وأمم والمماليك الإفريقية وبلدان شمال إفريقيا علـى العموم، إذ ضمنت
تجارة القوافل مناصب ومداخيل قارة على طول السنة، مما ساهم في رقي وتطــور الأسر
والمدن ، والقرى.

* **المبادلات التجارية :**

لقد كان لتجارة القوافل دورا بارزا و ايجابيا و فاعلا في العلاقات التــــجارية بين الجزائــــــر
والسودان الغربي خلال العصر الحديث، وأصبحت وسيلة ناجعة في خلق التحام اقتصادي مستمر عاد
على الطـرفين بالرقي والنمو والازدهار، بل شكلت هذه القوافل معرضا مــنتقلا يقوم على الدوام
بعمليتي البيع والشراء، ومع موسم الحج تنشط المبادلات التجارية لمخـتلف المراكز التجاريـــــة
ومختلف الأسواق الجهوية أو نقاط بيع على مستوى الممرات والمسالك والطرق التجارية الرابطــــة بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء، خاصة تمبـكتو وتوات، التي كانت محطات عبورأو توقف
لاستراحة، أو التزود بالمؤن، أو تصريف السلع التي يأتي بها الحجاج من مكة المكرمة وكان التجار
يدفعون ضريبة مقابل عرض سلعهم بمختلف الأسواق، تعرف بضريبة حق السوق، وهي مضبوطة حسب
قيمة البضاعة، ونوعيتها.

ومن أهم السلع التي يتم فيها التبادل ويكثر عليها الطلب، الفلفل الأسود، والقهوة، والمسك
الجاوي..الخ، كما تشير الدارسات على الصيرورة الدائمة لحركة رؤوس الأموال و ديمومتها بين
الأقطار التي ترتبط ببعضها اقتصاديا، إذ بعثت هذه الحركة التجارية إشعاع تنموي، ساهم بشكل كبير في
تطور وازدهار المجتمعات الإفريقية والمغاربية على العموم والجزائر بوجه خاصة وبالأخص سكان
المراكز التجارية بالجنوب الشرقي للجزائر.

* **الوساطة التجارية:**

لقد أصبحت القوافل التجارية بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء الوسـيط الغير
مباشر مع الدول الأوربية، إذ يجلب تجار الشمال الإفريقي السلع الأوربية التي يكثر علــيها الطلب
بمختلف المراكز التجارية بالسودان الغربي، وتأتي هذه القوافل بالذهب وريــش النعام والعبـيد
العاج الذي يسوق لمختلف التجار الأوربيين خاصة الذهب والعبيد الذي كثر عليهما الطلـب في
العصور الحديثة، حيث أغرت الثروات العظيمة الأوربيين، فعزموا على اكتشاف مسـالكها عن طريق
المستكشفين، رغبة منهم في السيطرة على التجارة الصحراوية، وغـزوها في ما بعد، وهو ما
تحقق لمختلف الدول الأوربية.

كما حافظت القوافل التجارية، بفضل حركتها النشطة بين الجزائر وبلدان إفريقـــــــــيا جنوب
الصحراء على العديد من الصناعات التقليدية والحرفية، إذ كان لوفرة المواد الأولية للإنتاج ووجــــــود
أســــواق الاستهلاكية لهذه المنتوجات، إذ زاد الطلب عليها، حيث زاد عدد الدكاكين الخاصة وعدد
العمال الشغالين على مختلف الصنائع التقليدية والحرفية، بل أن هناك من الصناعات من تطورت لبروز مواد أولية جديدة وتداخل الثقافات، والعادات والتقاليد، مما أدى إلى تغير العديد من
الصناع نحو الأفضل، وأدى كذلك إلى ترقية الذوق العام ، وبروز ظاهرة الأناقة في اللباس.

وكان للحفاظ على الصناعات التقليدية، وتجارة القوافل أن ساهمت في الجابيات الحــكومية إذا
كان الجهاز الإداري في الجزائر، وعلى اختلاف تخصصاته وتفرعها يتفق في هدف واحد هو جباية
الضرائب لبقاء النظام العثماني قائم، وكان لزيادة مختلف الصنائع و الدكاكين والشغالين عليها، ووضع
الجهاز الإداري بالجزائر العديد من الضرائب، والتي تنوعت أشكالها ومقاديرها يدفعها، تجار القوافل
لمرور سلعهم أو دخولهم الأسواق، ونفس الشيء بالنسبة للحرفيين وصناعيين(عواج**،** ص ص12-15).

**ثانيا:الآثار الثقافية:**

تشير الدراسات التاريخية على إن تجارة القوافل بين الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء
خلفت العديد من الآثار الثقافية ،من أهما:

* **نقل العلماء:**

من مميزات التواصل التجاري نقل العلماء وطلاب العلم، بغرض الحصــــــول عـلى
الإجازة، أو الإمامة، أو التدريس، أو الحج ، أو التجارة، أو الهروب من الظــــــــروف السياسة، إذ
تــــوفر القافلة التجارية كل سبل الأمن والحماية والراحة والمؤونة للعلماء وطلاب العلم لتــــحقيق
أهدافهـــــم من الرحلة، إذ يلتقي العلماء في هذه الرحلة في مختلف المراكز التجارية مع علمـاء
المغاربــــة ومن مختلف المراكز العلمية خاصة في فترة الحج ، التي يكثر فيها هـــــجرة نحـو
البقاع المقدســـة لأداء الفرض الخامس في الإسلام ، حيث يتم تداول الــــــــعديد من القضـايا
والمسائل الفقهيــــــة، ويخرج العديد من الفتاوى طبقا للمسألة المطروحة، كيف يتم تبادل المعارف
والعلوم، وإعـــــــارة الكتب أو بيعها، باعتبارها من التجارة المربحة في ذلك الوقت، وســــــــاهم
العلماء في ظلال الرحلــــــة التجارية، من ترقية الاتصال الإنـــــــساني، حيث انــــــتشرت الحضارة
الإسلامية في ربوع السودان، نظـــــرا للازدهار العلمي والرخاء الاقتصادي التي عرفته مختلف دول
ومماليك السودان الغربي، إذ وجد العديد من العلماء ضالتهم في التدريس والإمامة، والقضاء
خاصة علماء الجزائريين الذين كانوا موثوق في علمهم وخلقهم.

وكان مرور القوافل التجارية بمختلف العواصم العلمية، مناسبة لتبادل المعارف، والآراء، وحل المسائل، وتمنح الإجازة العلمية، وكان السودان الغربي حسب الدارسات التاريخية الوجهة المفضلة لعلمـــــاء الشمال الإفريقي خاصة الجزائر وبالأخص علماء توات، الذين يجع لهم الفضل في مد الجســـــور الثقافية بيم الجزائر و بلدان إفريقيا جنوب الصحراء.

* **رواج الكتب والمخطوطات :**

تعتبر الكتب والمخطوطات بمثابة الشاهد الوحيد والأوحد على المنتوج الفكري للعلماء والفقهاء في تلك العصور، إذ يعبر انتشار الكتاب على التطور الحــــضاري والثقافي، كما يوضح مدى الحركية العلمية التي عرفتها العصور الحديثة، خاصة بين الجزائر والسودان الغربي، كما أن انتشار الكتب والمخطوطات يعبر على المنتوج العلمي، إذ كانت تجارة الكتب مــــن السلع الرائجة في تلك العصور لذا كانت القوافل التجارية لا تخلوا من هذه السلعة التي كان يتهافت عليها العلماء وطلاب العلم سواء من الجزائر، أو علماء بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، وتشير الدارسات التاريخية على أن المكتبات بالسودان الغربي تحفظ العديد من الكتب والمخطوطات الجزائرية، إذ يشــــير الأستاذ عبد الله مقلاتي، إلى أن علماء توات لهم العـــديد من المصــــــــــــنفات والمخطوطات التي ما تزال إلى يومنا هذا في خزائن ومكتبات كل من مالي والنيجر وغانا، ونيجيريا، ومـوريتانيا، ومن أهم هذه المكتبات ما يلي:

\* مكتبة أحمد بابا التنبكتي 126 مخطوطا.

\* مكتبة ماما حيدة بمالي 34 مخطوطا.

\* مكتبات غانا 31 مخطوطا.

\* مكتبتي شنقيط وودان بموريتانيا 3 مخطوطات.

\* مكتبة كادونا بنيجيريا 71 مخطوطا(عواج**،** ص ص15-16) 6.

وقد قام التجار بتعميق العلاقات الثقافية، فأنشأوا المدارس لتعليم القرآن وأقاموا المساجد (بلعربي، 2011، ص39) 7، وتشير الدراسات على أن علماء توات لم يكتفوا بالتدريس فقط، بل مارسوا الإمامة، وأسسوا العديد من المدارس والزوايا والرابطات لتعليم القرآن واللغة العربية وتــــعليم المبادئ الإسلامـــــية، إذ اشتهروا بالفطنة العلمية، والتصوف والزهـــــد، وكان لرواج تجارة الكتب، أن راج معـــها التبادل المعرفي، إذ كانت القوافل التجارية، ومناسبة الحــــــــج الفرصة المناسبة لطرح الـــــعديد من المسائل الفقهية، و حل المشاكل بين التجار أو الحجاج.

لقد قدمت الطرق والقوافل التجارية، للمسافرين (تجـــارة، طلبة عــلم، حجاج، علمــــاء، مريدين
مستكشفين، رحالة ،...الخ)، إلى إمكانية التعرف على بعض المناطق واكتشاف أسرارها، و إدراك
منابعها الحضارية و الثقافية والعمرانية، حيث تركت أثارها في المنتوج الثـــــقافي للعلماء والرحالة
في ذلك الزمان، كما كانت القوافل وسيلة إعلامية إخبارية، حيث يتم تداول أخبار وظروف المناطق
من حيث الأمن، الحركة التجارية، النشاط العلمي، زيارة العلماء التي كانت القوافل التجارية تنقلها وتنشر أخبار قدومهم إلى منطقة ما.

هذه الآثار ساهمت بشكل كبير في إرساء معالم التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان إفريقيا
جنوب الصحراء، كما ساهمت في تنشئة اجتماعية اعتمد على المجال العلمي التربوي، فنسجت علاقة
فكرية وحضارية وطيدة بين هذه الأمم (عواج**،** ص ص16-17) 8.

**ثالثا: الآثار العمرانية:**

لقد ساهمت القوافل التجارية و مختلف المسالك التـجارية، في انتقال المؤثرات الحـــــــضارية من
الجزائر إلى بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، ومنحت حركة اقتصادية وثقافية وعمــرانية، وتـــرك
النشاط التجاري المكثف بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، العديد من الآثار العمرانية منـــــها:
**- نمو و تطور العمران:**

لقد أعطت الطرق والقوافل التجارية ديناميكية كبيرة في نـــــمو وتطور
العديد من المركز التجارية أو مختلف المناطق القريبة منها، سواء الأسواق الداخلية أو الجهوية، أو
على مختلف مسالك القوافل التجارية، حيث عرفت المراكز التجارية تبادل تجاري مكثف، سمح بولوج
واستقرار العديد من التجار والقبائل بهذه المــــراكز أو بالــــــــــقرب منها، هـــــــــذه المراكز كانت
عامرة ومكتظة بالسكان بفضل تجارة القوافل، كما نمت العديد من المماليك والإمارات ببلاد السودان
الغربي، وقامت بها العديد من المدن الإسلامية، حيث عرفت إشعاعا ثقافيا واقتصاديا، نظرا للرخــــاء
الاقتصادي واستقطابها لمختلف التجار من أنحاء الشمال الإفريقي، وعرفت مدن الجنوب الشرقي
والغربي للجزائر نموا وتطورا حفظته لنا مختلف المصادر والرحلات العلمية، ومن أهــــــــم هذه المدن نجد ورقلة، وتوات، أما بالسودان الغربي فعرفت تمبكتو، واوران، وكـــــــوكة، وجنـــي ، تطورا
عمرانيا كبير.

كما شكل حفر الآبار في مختلف طرق القوافل التجارية، والمراكز التجارية ،ّحيث ساهم بشكل
كبير في استقطاب القبائل والسكان،إذ استوطنت العديد من القبائل بمختلف المناطق التي تكثر فيها
أبار المياه، وقد انعكس هذا المصدر الحيوي على النشاط التجاري والزراعي، حيث شكل الماء
احدي أهم الموارد الطبيعية التي يسعى الإنسان لتحصيلها، وتعتبر الآبار بمثابة، حاصل للنشاط التجاري
بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء(عواج**،** ص ص17-18).

**الخاتمة:**

نستخلص مما سبق بأن علاقة الجزائر بطرابلس الغرب هي علاقة تجارية خاصة على مستوى المدن الصحراوية أو المسالك التجارية البرية، هذا بالرغم من تواضع حجم تلك المبادلات، بفعل طول المسافة، وكذا العقبات الطبيعية وتواضع إمكانات طرابلس الغرب.

لقد أسست الطرق و القوافل التجارية قاعدة تواصل حضاري على مر السنين، بين الجزائر
وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء،خاصة في العصور الوسطى و الحديثة، وبواسطتها انتقلت الحضارة
العربية و الإسلامية إلى السودان الغربي و التي تجلت معـــــــــــالمها في اعتناق أهل السودان الغربي
الدين الإسلامي، وسعيهم لتعلم اللغة العربية وفنونها،حيث لعب الشمال الإفريقي في هذا الجانب دورا
بارزا وكبير، خاصة الجزائر، حيث استطاع علمائها من نشر معارفهم من مختلف العلوم
وساهمـــــــــوا في انتشار الزوايا و الطرق الصوفية، هذا النشاط انعكس بالإيجاب على بلدان السودان
الغربي، حيث نشطت المراكز العلمية و استقطبت العلماء من كل حدب وصوب، لتوفر الظروف
الملائمة كالرخاء الاقتصادي، ورحابة صدر حكام مختلف الإمارات والمماليك ببلدان إفريقيا جنوب
الصحراء، حيث كانوا يهتمون أي ما اهتمام بالحياة الثقافية والعلمية.

ولقد قلدت مختلف المراكز العلمية المناهج العلمية والتربوية في التعليم، وهذا يدل على الارتباط
الفكري والنمطي بين أهل العلم في الجزائر وعلماء السودان الغربي، وكان لهذا التواصل أن
امتزجت العديد من التقاليد والعادات والتي تجلت في التعليم، الزوايا، انتشار المساجد، الطرق الصوفية
الملبس، والمأكل، والعمران، والخط، الألوان ...الخ.

**قائمة المصادر والمراجع:**

1. بلعربي خالد (2011) "تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط" مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15: 35-40، http://elwahat.univ-ghardaia.dz.
2. بلولة إبراهيم محمد أحمدفبراير 2005م "الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى
وأثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية"، دراسات دعوية، العدد 9.
3. بوسليم صالح، علون عبد القادر ديسمبر 2017م، "تجارة القوافل الصحراوية بين الجزائر وطرابلس الغرب على العهد العثماني"، الحوار المتوسطي، مج 8 (2).
4. الزبيري محمد العربي1972م التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792/1830م، الشركة الوطنية الجزائر.
5. سعيدوني ناصر الدين، البوعبدلي الشيخ المهدي1984م الجزائر في التاريخ العهد العثماني المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
6. عواج حكيم **"**اثر الطرق و القوافل التجارية في التواصل الحضاري بين الجزائر
والسودان الغربي في العصور الحديثة".